الأستاذ: بلخضر طيفور

جامعة ابن خلدون - تيارت

محاضرات في منهجية العلوم السياسية

السنة الأولى ليسانس

العلوم السياسية

السداسي الأول

** المنهج والمنهجية **

المنهج كما يراه "رونيه ديكارت" René Descartes أنه طريقة لإحكام العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم[1]. وهو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة وذلك عن طريق جملة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مقبولة[2]. كما يُراد بالمنهج في أي فرع من فروع المعرفة الطريقة التي يتبعها العقل في دراسته لموضوع ما، للتوصل إلى قانون عام أو مذهب جامع، أو هو فن ترتيب الأفكار ترتيبا دقيقا بحيث يؤدي إلى كشف حقيقة مجهولة، أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة وبهذا فإن المنهج يعني مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتبعها الباحث مُقدَّما لعملية المعرفة التي سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها. فالمنهج العلمي إذن، هو مجموعة مقننة من الأدوات التي تُستخدم وفق قواعد إجرائية محددة متفق عليها من قبل المجتمع العلمي المحترف، بحيث أنها تشكل لغة خاصة بهذا المجتمع، كما يرسم علاقاته المختلفة مع مجتمعات، مهنية أو غيرها، مجاورة أوبعيدة على السواء، ولغة المنهج هي عبارة عن نظام يحدد العلاقات الممكنة وغير الممكنة في عملية الإنتاج المعرفي العلمي[3].

مستويات المنهج :

يكتسي المنهج معنيان عند استخدامه، معنى إبستيمولوجي والآخر عملي تطبيقي، فالإبستيمولوجي يُقصد به المواقف الفلسفية والتأملية حول طبيعة الظواهر وسبل إدراك خفاياها، وهذا ما يُعرف بالمنهج الفلسفي، فالفلسفة تشبه العلم من حيث أنها تخاطب العقل البشري، ولا تتميز الأفكار العلمية عن الأفكار

---

[1] رونيه ديكارت، مقال عن المنهج، (ترجمة: محمود محمد الخضيري)، الطبعة الثالثة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1985، ص165.

[2] عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، عمان: دار اليازوري العلمية، 1999، ص 31.

[3] روجر هيكوك، وآخرون، البحث النقدي في العلوم الإجتماعية، ص 77 .

الفلسفية على الخصوص إلا من حيث أنها مدعمة بحجج أقوى وبراهين حسية، ويرتكز المنهج الفلسفي على الإستدلال والتبرير العقلي، والتأمل لا يصبح في الحقيقة منهجاً إلا إذا صاحبته قواعد تنظم سيره وهو نتاج عقلي تفسيري وبرهاني وهو بذلك يقترب من العلم[4]، هذا من ناحية إبستيمولوجية المنهج في شقه الفلسفي؛ أما المعنى التطبيقي والعملي فيُقصد به الجانب التقني ويدل على كل الإجراءات التي بواسطتها نحصل على المعلومات والمعطيات ونستخدمها لأغراض البحث، ويشمل المنهج بهذا المعنى كل تقنيات العلوم الاجتماعية والسياسية من أطر التحليل إلى التقنيات الرياضية والإحصائية والكمية، مرورا بالإجراءات العقلية والمادية في مجال العلوم السياسية.

مستويات المنهـج في العلوم السياسية

يتضمن المنهج في العلوم السياسية ثلاث مستويات أساسية، أولها هو المنهج بمعنى المنهجية **"Methodology"**، أي علم طرق البحث ويقصد به الدراسة الأكثر تجريدا للأسس المنطقية لنوع معين من المعرفة أو أحد نظمها، وهو أيضا طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل من أجل الوصول إلى نتيجة معلومة[5]، وهذا الإستخدام يعالج المنهج من وجهة نظر فلسفة العلم. وبذلك فإن المنهج بمعنى المنهجية يحدد المبادئ الرئيسية لأي كيان نظري، ثم أسلوب سير هذا الكيان في عملية البحث العلمي. ولهذا لا يجب خلطها بالنظرية، لأنها تهتم في المحل الأول بالأسس العامة التي تبرهن على صحة النظريات دون التعرض إلى مضمونها؛ وثاني مستوى هو المنهج بمعنى المدخل المنهجي **"Methodological Approach"** وهو مستوى أقل من المستوى السابق، ويمثل إقترابات عامة لدراسة الظواهر، ويتضمن عادة العديد من أدوات البحث ووسائله. وهو بذلك الطريقة أو الوسيلة التي يستعملها الباحث بهدف الوصول إلى المعلومات. والمستوى الأخير يتمثل في المنهج بمعنى طرق البحث **"Research Method"**، وهذه الطرق كثيرة ويمكن أن تكون كمية أو كيفية.

ويرتبط المنهج بعلاقة تفاعل بالنظرية، وتتبع تلك العلاقة من خاصية الإعتماد المتبادل بينهما. فكما أن النظرية بحاجة إلى المنهج للبرهنة عليها وتوسيع نطاقها، كذلك يحتاج المنهج للنظرية، هذا لدورها في توظيفه بفاعلية والمنهج هو إجراء مرتبط بطرق وأدوات تستخدم في تحقيق وتجربة وتفحيص وتقييم النظرية. ومما سبق يتضح أن المنهج يستهدف تعريف المشكلات التي يمكن دراستها علميا بُغية تطوير الرصيد المعرفي المتخصص، والحصول على البيانات الأساسية لمعالجة الظاهرة علميا و التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها[6].

---

[4] وعزيز الطاهر، المناهج الفلسفية، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990، ص 19.
[5] عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، الكويت: وكالة المطبوعات، 1977، ص 05.
[6] محمد شلبي، منهجية العلوم السياسية، ص 55.

مناهـج البحث في الظاهرة السياسيـة

من الضروري التفرقة بين المنهج (أدوات وتقنيات البحث) و بين المنهجية التي تمثل البنية المنطقية لإجراءات البحث العلمي، بحيث يجب إدراك بأنه لا توجد منهجية بدون **"Logos"*** ودون التفكير حول طبيعة التفكير ذاته، وهذه التفرقة تستلزم ضرورة التدقيق في مفهوم المنهج، أما عند استخدام المنهج فيجب عدم الفصل بين المنهجية وتقنيات البحث بحيث لو تم الفصل بينهما فلن تستطيع تلك التقنيات الإستمرار بدون المنهجية، فالتقنيات قد تكون دقيقة لكنها تظل غير منهجية، وكليهما لا يمكن إحلال الواحد مكان الآخر فهذا يُستخلص كضرورة للتفرقة بين المنهج والمنهجية[7]. و قسّمLijphart المناهج التي تدرس الظاهرة السياسية إلى جانب المنهج المقارن يوجد المنهج التجريبي والإحصائي ومنهج دراسة الحالة، وهي مناهج تهدف إلى إيجاد تعميمات أمبريقية عامة وإلى التفسير العلمي عن طريق اكتشاف علاقات معينة بين متغيرين أو أكثر مع عزل تأثير بقية العوامل والمتغيرات الأخرى[8].

فالمنهج التجريبي يستخدم عدة مجموعات للتجريب والضبط وذلك بعزل البعض من تلك المجموعات عن تأثيرات معينة ثم يقوم باختبار النتائج والمقارنة بينها، لكن العلوم الإجتماعية ومنها السياسية لا تهتم في أغلب الأحيان بالتجريب وذلك لاعتبارات معينة، أما المنهج الإحصائي فهو يعتمد على الملاحظة الأمبريقية للظواهر من أجل حصر العلاقات بين المتغيرات وذلك بإشراك أكبر قدر من الأرقام في مقابل عدد محدد من المواضيع، لكنه يتلقى عديد الصعوبات لاتساع المجموعات وضيق حيز المقارنة، وهو في كثير من الأحيان يعجز عن تفسير الظاهرة السياسية. أما فيما يخص منهج دراسة الحالة فهو يركز على حالات فردية أو نماذج معينة*، وكاستراتيجية للبحث يُستخدم في عدة مواضع لإثراء معرفتنا حول الأفراد والجماعات، المنظمات وكذلك الظواهر الإجتماعية والسياسية[9]، كما يساعد في التعمق في المواقع الجزئية للظاهرة لكنه محدود ويعجز عن اختبار الفرضيات والنظريات، كما يُعتبر جزء من الدراسات المقارنة، عكس ماهو سائد في العلوم الطبيعية، حيث يمكن للتقنيات التجريبية عزل الفواعل خاصة الخارجية منها ضمن مركز مَخبر وبالإمكان حتى تغيير قيم تلك الفواعل[10]، والأمر أبعد ما يكون عن ذلك في دراسة الظاهرة السياسية التي تتميز بانفلات متغيراتها وتعقد فواعلها.

---

* Logos : مفردة تشير إلى إله التفكير عند أفلاطون، وبالمعنى الإجرائي تدل على المرجعية أو الإطار الكلي للتفكير.

7 Sartori Giovanni, Concept Misformation in Comparative Politics, p 1033.

8 محمد زاهي بشير المغيربي، السياسة المقارنة، ص 116.

* مصطلح الحالة هنا قد يشير إلى عدة معاني، فهي قد تدل على الوحدات الملاحظة ضمن مصفوفة المعلومات، وفي أغلب الكتب تشير إلى المنهجية بمعنى تقنيات وأساليب بحث دراسة الحالة، وهي أيضا تشير إلى مزيج من مستويات القياس المتسعملة في الدراسات السياسية مثل: الحكومة، الأحزاب، الأفراد...إلخ، وأيضا من المتغيرات المختلفة مثل: سياسات الحكومة، برامج الأحزاب...إلخ، كما قد تعني أيضا دراسة الوحدات السياسية التي هي قيد الدراسة مثل: الدول، المجتمعات، القوميات...إلخ.

9 Robert K. Yin, Case study research design and method, 3rd edition, USA, Sage publications thousand Oaks, California, 2003, p 01.

10 Mark Kesselman, and others, Introduction to Comparative Politics, p 09.